الملمح التناقضي الذي يجعل من كل فقرة نسخاً لسابقتها. ولن يجد الباحث كبير عناء في تبين هذا التناقض.

فمن جهة نقف على دعوة لما يحقق للنص تميزه قطرياً على الأقل، ومن جهة أخرى نجد إلحاحاً على أن الكتابة ليست حالة منعزلة في المغرب. تخشى الانفتاح على الآخرين.

ومن جهة تجد رفضاً لعلقة السياسي بالثقافي، في حين تقدم الكتابة كمشروع مطالب به وجهاً للسياسي الذي لا سبيل إلى فصله عن الثقافي والاجتماعي، وإلا فلا مبرر للحديث عن مواجهة ولا عن تفسير إلا إذا كان منظور الرؤية أحادياً واختزالياً.

الدعوة إلى الانفتاح على تاريخ المرحلة ـ ثقافياً واجتماعياً ـ في حين يجد المشروع المقترح ضالته في التاريخ الثقافي والاجتماعي للموروث، وما التأكيد على الخط المغربي إلا وجه لهذا الارتداد (المقبول/ المرفوض).

الحكم على الشعر المغربي طوال تاريخه بانعدام الفاعلية الإبداعية وانتفاء القدرة على تركيب نص مغاير. في الوقت الذي يدعو فيه البيان إلى اعتبار تجربة المغاربة والأندلسيين من قدماء الشعراء، نموذجاً يمكن أن تحقق الكتابة باحتذائه تميزها، وتجذرها كفعل متأصل، بل إن البيان يقدم القسم المهم من قوانينه المقترحة، بالإحالة على ذلك الإنتاج الشعري الذي سبق نعته بركام البلادة والعفن.

على هذا المنوال يتشكل البيان، نافياً للموروث وداعياً إلى التأصيل، رافضاً للقديم، ومتمسكاً بنماذجه، منفلتاً من هيمنة الشرق، ومنتجاً لنموذجه[16] ناقداً للمتعاليات، وقابلاً بها في صيغها الأكثر تأثيراً وفعلاً، وقائلاً بالنقد العلمي، ومتبنياً للتحرر من أي إلزام.

باختصار يمكن القول: إن البيان ينشد التحول والتغيير عبر مسار حلقي يعود بـه إلى منطلقه المرفوض، فلا يبقى في الختام من البيان إلا حماسته ونبرته الحادة.

ولتبين المسألة بوضوح يمكن الاقتصار على القسم الذي يهم موضوعنا والمتعلق ببنية المكان.

ـ الاحتفـاء بالفـراغ:

يقول: «.. إن الكتابة دعوة إلى ضرورة إعادة تركيب المكان وإخضاعه لبنينة مغايرة، وهذا لا يتم بالخط وحده، إذ يصحب الخط الفراغ، وهو ما لم ينتبه له بعض من يخطون نصوصهم بدل اعتماد حروف المطبعة. علقة الخط بالفراغ لعبة، إنها لعبة الأبيض والأسود، بل لعبة الألوان، وكما أن لكل لعبة قواعدها، فإن الصدفة تنتفي، ومن ثم تؤكد الكتابة على

(16) لا يمكن فصل البيان عن نموذجه المشرقي «بيان الحداثة» لأدونيس، بل إن الشطحات الأدونيسية حاصرة من خلال القوانين المقترحة والقاموس الموظف.